البحث الادبي ومناهجه في الانـــدلس

أ.د احمد حاجم الربيعي

كلية التربية . الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قدمت الدراسات الحديثة في منهج البحث خدمة كبيرة للباحث الناشئ اذ سعت الى تعريفه بطبيعة البحث الذي يختاره ، والمناهج الحديثة التي تناسبه ، والمصادر والمراجع التي تفيده ، وانتقاء الجذاذات التي تخدمه ، وهي ــ بلا شك ــ وسائل تهدي الباحث الى الطريق القويم للوصول الى نتائج سليمة ، ولكن هذه الدراسات لم تبين للباحث ان المناهج الحديثة التي وصل اليها الغرب هي ــ في الغالب ــ مناهج عربية استخدمها علماؤنا القدامى في مؤلفاتهم ، وقد ملأت المكتبات في شتى انحاء العالم ، ولم يكن اكثرها من ابتداع عصرنا الحاضر ، بل هي نتاج بحوث ودراسات سبقت ، كما انها لم تكشف عن سمات ذلك الباحث الذي طُورت على يديه تلك المناهج ، ونهضت الامة العربية بتطويرها ، وازدهرت حضارتها .

لذلك رأيت من تمام الفائدة ان اقدم صورة جديدة للبحث في الاندلس ، احد الاقاليم العربية ، ومثالاً للباحث الاندلسي الذي ينبغي ان يحتنيه الباحثون في عصرنا الحاضر، ونماذج لتطوير منهج البحث خدمة لتراثنا العربي .

البحث الادبي :

البحث لغة : ((طلبك الشيء في التراب ، والبحث ان تسأل عن الشيء وتستخبر ، وبحث عن الخبر يبحثه بحثاً ، سأل عنه))[1] والبحث اصطلاحا عند القدامى : هو طلب أشعار العرب وايامها واخبارها بالبحث عنها ، والتنقيب عن معناها[2] او سؤال اصحابها ومناقشتهم ومباحثتهم عنها[3].

والبحث الادبي هو عملية او عدة عمليات لطلب الحقيقة الادبية في اصولها الاولى وتعريفها للدارسين . ولا يتم ذلك الا على وفق منهج علمي يساعد الباحث على تلك المهمة ، وخطة يلتزم بها حتى يصل الى معرفة تلك الحقيقة .

وقد ارتبطت عملية البحث بالتدوين ، وهذه مسألة طبيعية اذ لا يمكن اجراء البحث دون تدوينه ، فكان القران الكريم اول كتاب يدون في الاسلام ولكننا لايمكن ان نعد القران الكريم بحثاً ، اذ لم يخضع لانتقاء الكاتب في اياته وسوره ، ولم يرتبه كما يشاء ، لان القران الكريم كتاب انزله الله تعالى على رسوله الكريم ﷺ هكذا مرتب الايات والسور ؛ فدونه الكتاب كما نزل.

---

(١) ابن منظور : لسان العرب . مادة (بحث) .

(٢) ينظر: ابن طباطبا : عيار الشعر .

(٣) ينظر: المبرد : الكامل ٣/٣٣١ .

وقد تأخر تدوين الحديث النبوي الشريف عن تدوين القران الكريم الى اوائل القرن الثاني للهجرة ، وقد خضع ذلك التدوين على العكس من تدوين القران الى التوثق من رواته ، ووزنهم بمعايير سديدة ، ورفض أية رواية تشوب سيرة صاحبها شائبة في دينه وخلقه ، وبحث علماء الحديث في تحقيق صحة رواية النص ومقابلتها او معارضتها مع ايات القران الكريم والسنة النبوية ، متخذين من معارضة الرسول الكريم ﷺ القران على جبريل عليه السلام مرة كل سنة منهاجاً ، فاصبحت المعارضة على الاصول عملاً ثابتاً في توثيق كتب الفقه واللغة والادب وغيرها .

وبذلك تكون لدى العلماء العرب والباحثين منهجاً اساسه تحقيق الروايات وتوثيق صحتها وصدق الرواة، ويمكن تطبيقه في جميع مجالات العلوم الاخرى .

كانت رواية الاشعار والاخبار تنقل شفاها من جيل الى جيل ، حتى اذا جاء القرن الثاني للهجرة ظهرت طبقة كبيرة من الرواة الذين يرحلون الى مواطن القبائل العربية لتدوين لغتها واشعارها واخبارها ، فضلاً عن هجرة بعض الاعراب الى مواطن الرواة كما في البصرة والكوفة وبغداد لرفدهم بما يريدون من اشعار واخبار وامثال ، فتجمعت لدى الرواة مادة علمية وافرة ولكنها مشوبة بما اضاف اليها بعض الرواة الوضاعين ، مما دعا ذلك علماء العرب الى تطبيق منهج التوثيق والتحقيق . على رواية الشعر والرواة على نحو ما تعرض اليه رواة الحديث لغرض ضبط الشعر ودقته . وكان لعلماء البصرة والكوفة ورواتهما الثقات اثر كبير في تحقيق هذا التراث . وسنعرض لهذا المنهج وتطبيقه في مجالات الادب كافة ، وهي على النحو الاتي :

أ- مجال الشعر وفيه دون هؤلاء الرواة وغيرهم من الدارسين خمسة انماط وهي :

١ــ دواوين الشعراء : يكثر في مخطوطات دواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين ان تنسب الى رواة البصرة او الكوفة ، وكان الاصمعي عبد الملك بن قريب (-٢١٦) حجة رواة البصرة في التوثق منها ، ((وقد رويت عنه ستة دواوين هي : ديوان امرئ القيس، وديوان النابغة ، وديوان زهير ، وديوان طرفة ، وديوان عنترة ، وديوان علقمة بن عبدة ، وتتفاوت رواياتها في مدى الصحة والتوثيق، واوثقها روايته التي احتفظ بها الاعلم الشنتمري المتوفى سنة٤٧٦هـ))[١].

وكانت العناية بدواوين الشعراء الاندلسيين لاتقل عن العناية بدواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين . فنجد شاعراً مثل يحيى بن الحكم الغزال (٢٥٠٧هـ) طال به العمر وشعره كثير مجموع جمعه حبيب بن احمد[٢] المعروف بالشطجيري . وديوان احمد بن

(١) د. شوقي ضيف : البحث الادبي ١٦٥.

(٢) الضبي : بغية الملتمس ٤٨٦ وقد جمعه الدكتور حكمة الاوسي في كتابه (فصول في الادب الاندلسي)واستدرك عليه الاستاذ هلال ناجي في كتابه (هوامش تراثية).

محمد بن عبد ربه (٣٢٨هـ) فقد قال فيه الحميدي : ((وشعره كثير مجموع ، رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً ، من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر وفي بعضها بخطه))[١] .

اما القاسم بن نصير المعروف بابن ابي الفتح (-٣٣٨هـ) فقد قال ابن الفرضي فيه : ((واكثر شعره في الزهد وذم الدنيا ، وفي شواهد الحكم والتذكير والوعظ ، وله ديوان من شعره كتبت بعضه بشذونه))[٢] واما يحيى بن هزيل القرطبي (-٣٨٩هـ) فقد ذكر ابن الفرضي : ان شعره ((قرئ عليه على سبيل الرواية ، وقد كتبت عنه من حديثه وشعره ، واجاز لي روايته وديوان شعره))[٣] ولمحمد بن عبد الله بن ابي زمنين (- ٣٩٨هـ) ديوان يدعى (ديوان النصائح) وهو في الزهد ايضاً[٤] .

٢ .دواوين القبائل : عني العلماء بجمع دواوين القبائل العربية وروايتها كعنايتهم بدواوين الشعراء ، وقد ضاعت دواوين القبائل ولم يبق منها سوى ديوان قبيلة هذيل صنعه ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري (-٢٧٠هـ) .

ولم نجد في الاندلس ديواناً يجمع لقبيلة من القبائل ، ولكن هناك جمع اخر للشعر قريب من هذا النمط وهو في اشعار خلفاء بني امية في المشرق والاندلس ، جمعه ابن الصفار عبد الله بن محمد (-٣٥٢هـ) بطلب من الخليفة الحكم المستنصر ، وهو على غرار كتاب الصولي في اشعار خلفاء بني العباس[٥] .

٣.مختارات القصائد العربية : ويعمد الرواة في هذا النمط من التأليف الى اختيار اشهر مجموعة قصائد من جياد الشعر العربي مثل : المعلقات وهي سبع قصائد طوال جياد لسبعة من فحول شعراء الجاهلية ، وقد اختارها حماد الراوية الكوفي (-١٥٦هـ) ، ولابي عبيدة رواية اخرى للمعلقات تختلف في عدد شعرائها[٦] وقد جمع الخطيب التبريزي (-٥٠٥هـ) بين الروايتين فصارت تسع قصائد واضاف اليها قصيدة ، فاصبحت عشر قصائد ، سماها القصائد العشر الطوال .

ومن اشهر شروح المعلقات ، شرح ابي جعفر احمد بن محمد النحاس (-٣٣٨هـ) وشرح ابي بكر ابن الانباري (-٣٢٨هـ) وشرح القاضي الحسين بن احمد الزوزني (-٤٨٦هـ)[٧].

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ١٠١ وينظر : ديوان ابن عبد ربه ١٠

(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ٣٦٤/١ .

(٣) المصدر نفسه ١٩٥/٢ وينظر : ابن هزيل القرطبي : شعره ٧٩ .

(٤) الضبي : بغية الملتمس رقم ١٦٠.

(٥) ينظر : الحميدي : جذوة المقتبس ٢٥٢-٢٥٣ والضبي : بغية الملتمس ٣١٩.

(٦) ابو زيد القريشي : جمهرة اشعار العرب ٣٤.

(٧) د. عزة حسن : المكتبة العربية ٦٣.

والمفضليات مجموعة من قصائد الشعراء المجيدين المقلين في الجاهلية والاسلام ، اختارها المفضل بن محمد الضبي الكوفي (-١٦٨هـ) ، وقال ابن النديم ((وهي مائة وثمانية وعشرون قصيدة ، وقد تزيد او تنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه ، والصحيحة التي رواها عنه ابن الاعرابي))[١].

ومن اشهر شروح المفضليات ، شرح ابي محمد الانباري (-٣٠٥هـ) وشرح الخطيب التبريزي (٥٠٥هـ)[٢] .

والاصمعيات مجموعة من قصائد الشعراء المقلين ايضاً في الجاهلية والاسلام ، اختارها عالم اللغة البصري عبد الملك بن قريب الاصمعي (-٢١٦هـ) وقد بلغ عددها اثنتين وتسعين قصيدة.

وجمهرة اشعار العرب مجموعة من قصائد فحول شعراء الجاهلية والاسلام اختارها ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القريشي ، من رواة القرن الرابع للهجرة، وتضم تسعاً واربعين قصيدة.

وفي الاندلس نجد مثل هذا النمط من البحث الادبي ، وهو اختيار قصائد مشهورة لشعراء اندلسيين وهو: (المختار من شعر شعراء الاندلس) اختارها ابن الصيرفي علي بن المنجب (-٥٤٢هـ)[٣] وتضم عدداً من القصائد لشعراء من القرن الخامس للهجرة .

٤. مختارات مقطوعات القصائد العربية : وهناك نمط اخر من البحث الادبي وهو اختيار مقطوعات او ابيات من المطولات ، تبوب حسب المعاني الشعرية ، ويسمى هذا النمط من الاختيار بالحماسة ، وهي اول الابواب واكبرها ، فسميت كلها باسم هذا الباب على التغليب .

ومن الحماسات حماسة ابي تمام حبيب بن اوس الطائي (-٢٣٢هـ) اختارها من شعر شعراء الجاهلية والاسلام وجملة قليلة لشعراء محدثين . وقد قسمها على عشرة ابواب ، ولم نعرف احداً من الادباء قبل ابي تمام نهج هذا المنهج في اختيار الشعر وترتيبه . والاشعار التي اختارها من عيون الشعر العربي حتى ((قالوا : ان ابا تمام في اختياره الحماسة اشعر منه في شعره))[٤].

ومن الحماسات الاخرى ، حماسة البحتري ابي عبادة الوليد بن عبيد (-٢٨٤هـ) وحماسة الظرفاء لابي محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني (-٤٣١هـ) ، وحماسة ابن الشجري ابي السعادات هبة الله بن علي البغدادي (-٥٤٢هـ) ، والحماسة البصرية لابي الحسن علي بن ابي الفرج البصري (-٦٥٩هـ) .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٦٨.

(٢) د.عزة حسن : المكتبة العربية ٦٨.

(٣) حققه الاستاذ هلال ناجي ، المورد م٤ ع (٤) لسنة ١٩٧٥ ص ١٠٥-١٣٥.

(٤) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ١/١٠.

وتعدد الحماسات على هذا النحو دليلاً على شهرة حماسة ابي تمام ، وعلى حسن ابتداعها وطريقة تصنيفها ، فلقيت لدى الادباء الاندلسيين قبولاً وعناية حتى اندفعوا الى معارضتها والتصنيف على منوالها بعد دخولها الاندلس .

ومن الحماسات : حماسة ابي عامر محمد بن يحيى الشاطبي (-٥٤٧هـ)[١] ، وحماسة ابي العباس احمد بن عبد السلام الجراوي (من اواخر القرن السادس للهجرة) سماها (صفوة الادب وديوان العرب) . وقال ابن خلكان في كتاب الحماسة هذا : ((وهو عنداهل المغرب كالحماسة عند اهل المشرق ، وهو كثير الوجود بين ايدي الناس))[٢] وقد صنفه لامير الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، المنصور بالله (٥٨٠-٥٩٥هـ) [٣]، وحماسة ابي الحجاج يوسف بن محمد البياتي (٦٥٣هـ) قال ابن خلكان ((ورأيت له ايضاً كتاب (الحماسة) في مجلدين ، وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه ، كتبه في اواخر شهر ربيع الاول سنة ٦٥٠هـ ... وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس في شوال سنة ٦٤٦هـ[٤] .

ومما يدل ايضاً على شهرة حماسة ابي تمام كثرة من تصدى لشرحها من العلماء والادباء في المشرق كأبي هلال العسكري ، والحسن بن بشر الامدي ،وابي بكر محمد بن يحيى الصولي ، وابي الفتح عثمان بن جني في القرن الرابع للهجرة . وابي علي احمد بن محمد المرزوقي ، وابي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي ، وابي الفضل الميكالي ، وابي المحاسن مسعود بن علي البيهقي في القرن الخامس للهجرة . وابي البقاء عبد الله بن حسين العكبري في القرن السادس للهجرة[٥] .

وهناك شرح مشرقي اخر للحماسة ذكره ابن خير وهو (شرح معاني ابيات الحماسة) لابي علي الحسن بن علي النمري ، حدثه به الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر ، عن الشيخ الوزير ابي بكر بن هشام المصحفي ، عن ابي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني قراءة عليه . قال : حدثنا ابو احمد بن عبد السلام بن الحسين البصري ، عن مؤلفه ابي علي النمري[٦] .

وفي الاندلس لايقل عدد من تصدى من العلماء والادباء للحماسة بالشرح عن علماء المشرق وادبائه ، ومن هذه الشروحات : شرح علي بن احمد بن سيده (-٤٥٨هـ)[٧] وشرح ابي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالاعلم الشنتمري (-٤٧٦هـ) . قال ابن خير : ((حدثني بها الشيخ

---

(١) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ٢٦١/١.

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٣٧٥/٢.

(٣) ابن سعيد الغصون اليانعة ١٠٠.

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢٣٩/٧.

(٥) د. امجد الطرابلسي : حركة التأليف عند العرب ١١٩.

(٦) ينظر : ابن خير : الفهرسة ٣٨٨.

(٧) ينظر: القفطي : انباه الرواة ٢٢٦/٢ والسيوطي : بغية الوعاة ١٤٣/٢.

الاديب ابو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر بن فندلة قراءة مني عليه لها ولشرحها . قال : حدثني بها الاستاذ ابو الحجاج مؤلفه))[1] وشرح ابي بكر عاصم بن ايوب البطليوسي (-٤٩٤هـ) وقال ابن خير : ((حدثني بها الاديب ابو محمد عبد الملك بن محمد بن اسحاق اللخمي ، ويعرف بابن الملح ، عن ابي بكر عاصم ابن ايوب مؤلفه))[2] .

ومن الشروح شرح علي بن عبد الرحمن بن الاخضر الاشبيلي (-٥١٤هـ)[3] وشرح ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ملكون الحضرمي (-٥٨٤هـ)[4] وذكر ابن الابار : ان اسم هذا الكتاب هو (ايضاح المنهج) وقال عنه انه ((جمع فيه بين كتابي ابن جني على الحماسة : التنبيه والمبهج))[5] وشرح ابي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الاشبيلي (-٦٦٩هـ)[6]

٥.قصائد جمعت على غرض شعري واحد : ويكثر التأليف على هذا النمط عند الادباء في المشرق والاندلس ، وهو يمثل نوعاً من التخصص في موضوع واحد دون سواه . ومن خلال استقراء القصائد التي اختيرت لغرض موضوع واحد وجدناها تقتصر على ثلاثة موضوعات وهي : الغزل ، والخمر ، والطبيعة ، ومن الصعب التفريق بينهما لارتباط بعضهما ببعض .

ولعل اجمل عمل قام به ابو بكر محمد بن داود الاصفهاني (-٢٩٧هـ) جمعه اشعار الحب والتغزل بجمال المرأة ، والتعبير عن مواجد القلب في افراحها والامها وامالها ، فاجتمع له نخبة رائعة من اشعار العرب من الجاهلية حتى القرن الثالث للهجرة . وقد سماه كتاب (الزهرة) ورتبه في مائة باب ، في كل باب مائة بيت من الشعر ، وكل باب من هذه الابواب استودعه معنى واحداً من معاني الغزل تدور حوله الابيات المختارة ، فقال : ((وانا ان شاء الله اذكر بعقب كل باب منها ما يشاكله من الاشعار ، واقتصر على القليل من الاخبار ، لانها قد كثرت في ايدي الناس فقل من يستفيدها))[7] .

ومنهج المؤلف في جمع مادة الكتاب من الاشعار وترتيبها يقوم على المشاكلة ، او تأليف الاشباه بعضها الى بعض ، واجتناب ايراد المتباينات في باب واحد .ولا يخلوا الكتاب من نظرات نقدية ، ومفاضلات بين الاشعار ، وبيان العلل والاسباب ، مما يدل على تأثر المؤلف بالقياس والفلسفة

وقد تأثر عدد كبير من ادباء الاندلس بكتاب (الزهرة) في موضوعاته وفي منهجه ، ولكن الادباء الاندلسيين لم يستطيعوا ان يضعوا حداً فاصلاً بين الموضوعات اذ نجد الطبيعة تختلط عندهم

---

(١) ابن خير : الفهرسة ٣٨٨.

(٢) المصدر نفسه ٣٨٨.

(٣) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ١٧٤/٢.

(٤) ينظر : المصدر نفسه ٤٣١/١.

(٥) ابن الابار : التكملة ٢٠٤.

(٦) ينظر :ابن الزبير ، صلة الصلة ١٤٢-١٤٣ والسيوطي : بغية الوعاة ٢٠٥/٢.

(٧) الاصفهاني : الزهرة ٧.

بالغزل ، وتختلط بالخمر ايضاً ، لما للطبيعة في الاندلس من تأثير كبير في نفوسهم ، وذلك لانها تعيد الميدان الرحب الذي تنعقد فيه مجالس الحب ، ومجالس الشرب .

الف الاديب ابو عمر احمد بن محمد بن فرج الجياني (-٣٦٦هـ) كتاب (الحدائق) للخليفة الحكم المستنصر ((وعارض فيه كتاب (الزهرة) لابي بكر محمد بن داود بن علي الاصبهاني الا ان ابا بكر انما ادخل مائة باب في كل باب مائة بيت، وابو عمر اورد مائتي باب في كل باب مائتي بيت ليس فيها باب تكرر اسمه لابي بكر. ولم يورد فيه لغير اندلسي شيئاً ، واحسن الاختيار ما شاء ، واجاد فبلغ الغاية ، واتى الكتاب فرداً في معناه))[١] .

والف ابو محمد علي بن احمد بن حزم (٤٥٦هـ) كتاب (طوق الحمامة في الألفة و الأُلاف) بعد ان اطلع على كتاب (الزهرة) لابي داود الاصفهاني ، فراقه موضوع الكتاب ومنهجه ، فحذا حذوه ، ولكن ابن حزم تقدم على استاذه بخطوات وهي انه لم يكتف بما اضاف الى كتابه من اشعاره كما فعل صديقه ابن شهيد ، ((بل كانت غايته الكبرى رسم صورة واقعية من حياته ، ومن حياة الناس ببلده حول موضوع واحد هو "الحب" ، مخفياً اسماء بعض الاشخاص حيناً ، ومصرحاً بها في احيان كثيرة ، وهذه الناحية من الكتاب هي اقوى ما فيه ، لانها تضمنت اعترافاته الذاتية ، وتجاربه وتجارب من حوله في شؤون عاطفية))[٢] .

ومن المرجح انه قد الف كتابه عام ٤٢٠هـ بعد خروجه من قرطبة في زمن الفتنة ، واستقراره بشاطبة ، فجاءه احد اصحابه من المرية زائراً ، وكلفه ان يصنف له رسالة في صفة الحب ومعانيه ، فتكلف التأليف ارضاء له . وقسم كتابه ثلاثين باباً ، عشرة ابواب في اصول الحب ، واثنا عشر باباً في اعراض الحب ، وستة ابواب في الافات الداخلة عليه ، وبابين في قبح المعصية وفضل التعفف .

واذا كان كتاب (الطير) ليوسف بن هارون الرمادي (ـ٤٠٣هـ) يختلف عما سبقه من تأليف الحب ، فانه لايختلف عنها من حيث الاختصاص بموضوع واحد وهو وصف الطبيعة والطير احد عناصرها ، وكان الدافع لذلك هو تدهور العلاقة بين الخليفة الحكم المستنصر والشاعر إذ شاعت عنه اشعار في ذم السلطان ، فسجنه ولم تنفع معه محاولات الشفاعة او الاستعطاف .

ولما طال سجنه ((عمل في السجن كتاباً سماه "كتاب الطير" في اجزاء ، وكله من شعره، وصف فيه كل طائر معروف ، وذكر خواصه ، وذيل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام مستشفعاً به الى ابيه في اطلاقه))[٣] ومثل هذا الكتاب الذي يتضمن جميع انواع الطيور لابد ان يكون حجمه

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ١٠٤- ١٠٥ وينظر : الضبي : بغية الملتمس ١٤٠ – ١٤١ والمقري : نفح الطيب ١٧٣/٣ .

(٢) د. احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ــ عصر سيادة قرطبة ٣٤١.

(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ٣٧٢.

كبيراً، وكتاب بهذا الحجم له دلالة على ان مدة سجنه ليست قصيرة ، وهو في مكان مرتفع بحيث يرى جميع الطيور المارة به .

ووصف الطبيعة كان له مجال في البحث فقام ابو الحسن علي بن محمد بن ابي الحسين الكاتب (عصر الفتنة) بتأليف كتابه (التشبيهات من اشعار اهل الاندلس) وتبعه ابو عبد الله محمد الكناني الطبيب (٤٢٢هـ) في كتابه (التشبيهات من اشعار اهل الاندلس) ايضاً ، وقد جعله على ثلاثة اجزاء ، ضم الجزء الاول ثمانية عشر باباً ، وضم الجزء الثاني ثلاثة وثلاثين باباً ، وضم الجزء الثالث خمسة عشر باباً . وتناول كل باب موضوعاً ، فالاول : التشبيهات في السماء والنجوم والقمر، والثاني : في انبلاج الصبح ، والثالث في البرق والرعد . وهكذا تستمر الابواب . وقيمة الكتاب تكمن في احتجانه مجموعة شعرية تمثل عصر الامويين والعامريين حتى اواخر فتنة قرطبة .

ويأتي كتاب (البديع في وصف الربيع) لابي الوليد اسماعيل بن محمد بن حبيب الحميري (ـ٤٠٤هـ) في النمط ذاته إذ انه مختص بالطبيعة ايضاً ، وقد الفه لاسباب منها (ان فصل الربيع ارج أبهج ، وآنس وأنفس ، وأبدع وأرفع من ان احد حسن ذاته ، واعد بديع صفاته ... لم يعن بتأليفه احد ، ولاانفراد لتصنيفه منفرد ، فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب))[١] .

ومن الاسباب التي دعته الى التأليف ايضاً انه كان بناءً على رغبة ((ملكين نفقا سوق الادب الكاسدة ،واصلحا حال العلم الفاسدة))[٢] ويعني بهما القاضي محمد بن عباد ، وولده وحاجبه عباد المعتضد بالله . وقد اقتصر الكتاب على شعراء الاندلس وادبائه ممن عاصروا المؤلف ، ولم يتناول شعراء المشرق الا نادراً . وقد تبين لنا السبب بقوله : ((واما اشعار المشرق فقد كثر الوقوف عليها ، والنظر اليها حتى ما تميل نحوها النفوس ، ولا يروقها منها العلق النفيس ، مع اني استغني عنها ، ولا احوج اليها بما اذكره للاندلسيين من النثر المبتدع ، والنظم المخترع ، واكثر ذلك لاهل عصري،اذ لم تغب نوادرهم من ذكري))[٣] .

ومن الطبيعي ان يتأثر المؤلف بالحركة التي تدعو الى استقلال الثقافة الاندلسية عن ثقافة المشرق ، ففي الفترة التي سبقت الفتنة وجدت النهضة العلمية والادبية نفسها ان لاتبقى عالة على الثقافة المشرقية ، فما عادت النتاجات المشرقية تغري الاندلسي فتنسيه نتاجات بلاده ومفكريها من شعراء وادباء[٤] .

رتب الحميري كتابه فجعله في ثلاثة فصول ، الفصل الاول : مخصص لقطع الربيع التي لم يسم فيها نوراً ، والفصل الثاني : في القطع التي لم تنفرد بنور ، وانما اشتملت على نورين او اكثر ،

---

(١) ابو الوليد الحميري : البديع في وصف الربيع ١.

(٢) المصدر نفسه ٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢.

(٤) د. احمد حاجم الربيعي : ابو الوليد الحميري : حياته وشعره ١٧٦.

مع رسائل نثرية لبعض الادباء . والفصل الثالث : للقطع المنفردة كل نور منها على حدة كالاس والياسمين والبهار وغيرها .

ويختلف كتاب (حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح)[1] لابي عامر محمد بن عبد الله بن مسلمة (ـ٥١١هـ) عن التاليف التي سبقت في الغزل والطبيعة ، واختص بوصف الراح والخمر ، ولكنه مثل غرض الغزل كانت الطبيعة ميداناً لغرضه ايضاً .

الف ابو عامر بن مسلمة كتابه للمعتضد بن عباد (٤٣٣-٤٦١هـ) ملك اشبيلية بعدما هاجر من قرطبة الى اشبيلية ، ومن المرجح انه انتقل اليها عام ٤٤٠هـ فقربه المعتضد اليه ، وجعله وزيراً في بلاطه ، وابتدأ بتأليف كتابه وقدمه باسمه .

ذكر ابن بشكوال ((مولده سنة ثلاث او اربع وثلاثين واربعمائة ، اخبرني بذلك ابنه ابو بكر))[2] .

وهو العام نفسه الذي تولى فيه المعتضد الحكم ، وهذا غير ممكن لاسباب :

١.لايمكن ان يتخذ المعتضد بن عباد اديباً للوزارة لم يبلغ من العمر سوى سبع سنوات .

٢.كانت بين الاديب ابي عامر بن مسلمة ومعاصريه من الادباء مثل : ابي الوليد الحميري (-٤٤٠هـ) ، وابي القاسم بن الجد ،وادريس بن اليمان ،وابن الابار مراسلات شعرية وردت في عدة مصادر)[3] فهل يعقل ان تكون مثل هذه المراسلات بين ادباء معروفين وصبي يبلغ عمره سبع سنوات ؟ .

٣.جاء ابن زيدون الى اشبيلية سنة٤٤١هـ ليستقر في كنف المعتضد بن عباد ، فنزل في دار الوزير ابي عامر بن مسلمة ومدحه وهو يعقد مجلساً ادبياً بداره[4] . فكيف ينزل بدار صبي عمره سبع سنوات ؟ ولم تنتبه الى هذه المسألة محققة شعره د. هدى شوكت .

لذا ارى ان رواية ابن بشكوال عن تاريخ ولادته غير صحيحة ، وان عمره انذاك يقارب عمر ابي الوليد الحميري ، ومن المرجح انه ولد عام ٤١٥هـ ، وعليه يكون عمره خمسة وعشرين عاماً حين تولى الوزارة ، والف كتابه ((حديقة الارتياح)) .

ب.المجال الثاني وهو البحث والتأليف في الادب يتخذ هذا النمط منهجاً غير منهج تدوين الشعر كما سبق ، ويعني الاخذ من كل علم بطرف ،ويعني بالادب الثقافة العامة ، او جمع اشعار العرب واخبارها ،مع العناية باللغة والانساب والامثال والقصص ، مع تفسير اية قرانية او حديث نبوي شريف .

---

(١) ورد في بعض المصادر كذا (الارتياح في وصف الراح) ينظر : الضبي : بغية الملتمس ٨٠.

(٢) ابن بشكوال : الصلة ٥٧١/٢.

(٣) ينظر: ابو الوليد الحميري: البديع في وصف الربيع ٣٦، ٨٧، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٨. وابن بسام: الذخيرة ق٢ ١٠٦/١-١١٢.

(٤) ينظر : المقري : نفح الطيب ٢٧٣/٣ وابن مسلمة : شعره ١٥٣ .

واسلوب التأليف في هذا النوع يعتمد على الاستطراد ، وهو الانتقال من موضوع الى اخر ثم العودة الى الموضوع الاول ، وعملية الاستطراد مقصودة لذاتها ،خشية ملل القارئ مع استخدام الجد والهزل للتنويع ودفع السأم عنه .

ومن التأليف في هذا النمط كتب ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (-٢٥٥هـ) ومنها : (الحيوان) ،و(البيان والتبيين) . ويعد كتاب "الحيوان" من اكبر الكتب الادبية الفه قبل سنة ٢٣٣هـ ، واهداه الى الاديب محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم .

واذا كان موضوع الكتاب عن الحيوان كما يوحي به الاسم ، فانما هو وسيلة الى الكلام عن شتى فنون الادب ،فقال فيه : ((وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الامم ... فقد اخذ من طرف الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، واشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وجدان الحاسة واحساس الغريزة))[١] .

اما كتاب (البيان والتبيين) فقد الفه في اواخر حياته ،أي بعد تأليفه كتاب (الحيوان) ،وقدمه الى القاضي الاديب احمد بن ابي داؤد . ويجمع الكتاب ضروباً من المعارف التي تتصل بموضوع البيان. واسلوبه في (البيان والتبيين) لايختلف عن اسلوبه في (الحيوان) ، في استخدامه الجدل والقياس في مسائل منها : الرد على الشعوبية وغيرها .

ومن التآليف الاخرى التي سارت على نمط الجاحظ نفسه كتب ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (-٢٧٦هـ) ومنها :كتاب "ادب الكاتب" وقد جمع فيه مسائل اللغة ،وقواعد الكتابة،وبعض المعارف العامة التي يحتاج اليها الكُتاب والمتعلمون ،واراد ان يتم عمله في تثقيفهم ،فجمع لهم كتاب "عيون الاخبار" ليضموه الى الاول ،ويستعينوا به على استكمال ثقافتهم التي يحتاجون اليها في صناعتهم ومجالسهم . واسلوب الكتابين لايختلف عن اسلوب الجاحظ في كتابيه .

اما كتاب "الكامل" لابي العباس محمد بن يزيد المبرد (-٢٨٥هـ) فقد جمع فيه مختارات من الثقافة العربية ، مع شرح النصوص وتفسير الغريب ،ولا يختلف اسلوبه ايضاً عن اسلوب الجاحظ ، ولكنه لم يحتج بالقضايا الفلسفية على طريقة اهل الكلام . كما احتج الجاحظ .

واسلوب الجاحظ في كتابيه لايعبر عن وجهة نظره وحده ،وانما يعبر عن وجهة نظر المتكلمين في عصره ،فقد انكبوا على قراءة الكتب المترجمة من الفلسفة ،ومنها كتاب "المنطق" لارسطو الذي ترجمه عبد الله بن المقفع (-١٤٥هـ) ــ وان كانت تلك الترجمة فيما يبدو غير دقيقة مما دعا الجاحظ ان يحمل عليه[٢] ــ . فعرف المتكلمون ومنهم الادباء القياس والعلل ،ووجدوا ان هذا المنطق يخالف طبيعة الاشياء، اذ يبدأ بالعكس من العام وينتهي بالخاص او من الكليات الى الجزئيات،

(١) الجاحظ : الحيوان ١١/١.

(٢) الجاحظ : الحيوان ٧٦/١.

وكانت الطريقة المثلى التي توصلوا اليها هي طريقة الاستقراء والاستنباط للوصول الى الحقيقة ، وقد طبقها الجاحظ وابن قتيبة في تآليفهما .

وقد دعا ابن الهيثم وابو حامد الغزالي بعد ذلك الى رفض منطق ارسطو والاخذ بمنهج القياس وصحة الاستدلال ، وبذلك سبقوا الغرب الى هذه الحقيقة . وكان الغربيون قد اخذوا بمنطق ارسطو في العصور الوسطى معتقدين بصحته ،وبعد تعرفهم المنهج العربي الذي يعني بالاستقراء والملاحظة والتجربة هاجم احد فلاسفتهم وهو الفيلسوف الانكليزي روجر بيكون (-١٢٩٤م) منطق ارسطو ودعا الى الاعتماد على التجربة ،ثم تبعه فرانسيس بيكون (-١٦٢٦م) محذراً من استخدام ذلك المنطق ،وجاء بعدهما ديكارت (-١٦٥٠م) فشكك في صوابه وصحته[١] .

وفي الاندلس كان اسلوب الجاحظ ومن حذا حذوه من المؤلفين امثال ابن قتيبة والمبرد مثار اعجاب الاندلسيين ،فالف احمد بن محمد بن عبد ربه (-٣٢٨هـ) كتابه "العقد الفريد" على غرار كتاب "عيون الاخبار" لابن قتيبة وحذا حذو طريقته في تبويبه وجمع مادته . ولكن العقد صار اوسع مادة ،واحسن تنظيماً .

واما السبب الذي دعا المؤلف الى تأليفه قوله : ((وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الاخبار ، ولا جامعة بجمل الاثار . فجعلت هذا الكتاب كافياً شافياً ،جامعاً لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة ، وتدور على السنة الملوك والسوقة))[٢].

قسم ابن عبد ربه كتابه على خمسة وعشرين باباً ،وسمى كل باب منها بأسم كتاب لاتساعها كما فعل ابن قتيبة في عيون الاخبار ،وسمى كل كتاب بأسم جوهرة من جواهر العقد . وقد تأنق في تسمية الكتاب فسماه (العقد الفريد) . فقال : ((وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السلك وحسن النظام))[٣] .

واملى ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (-٣٥٦هـ) كتابه "الامالي" او النوادر على طلبته بالمسجد الجامع بالزهراء كل خميس ،وقدمه باسم الخليفة عبد الرحمن الناصر ،فجاء الكتاب مبارٍ لكتاب "الكامل" للمبرد . وجلس صاعد بن الحسن الربعي البغدادي (-٤١٩هـ) بجامع الزاهرة يملي كتابه (الفصوص) على كتاب الدولة في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر ، وقدمه باسمه وكان ذلك في عام ٣٨٥هـ .

وقد اشار الى هذين الكتابين ابن حزم بقوله : ((وكتاب "النوادر" لابي علي اسماعيل بن القاسم، وهو مبار لكتاب "الكامل" لابي العباس المبرد ،ولعمري لئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحواً

---

(١) ينظر : د.شوقي ضيف : البحث الادبي ٨٣- ٨٤ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤/١.

(٣) المصدر نفسه١/ ٤ - ٥ .

وخبراً، فان كتاب ابي علي اكثر لغة وشعراً . وكتاب "الفصوص" لصاعد بن حسن الربعي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين))[1] .

وقد احتذت بعض كتب الادب في الاندلس حذو كتاب "الامالي" لابي علي القالي في منهجه واسلوبه الجاحظي ،وقد اشار ابن سعيد الى تلك الكتب بقوله : ((واما ما جاء منثوراً من فنون الادب فكتاب "سراج الادب" لابي عبد الله ابن ابي الخصال الشقوري (-٥٤٠هـ) رئيس كتاب الاندلس ،صنفه على منزع كتاب "النوادر" لابي علي القالي ،و"زهر الاداب" للحصري (-٤٥٣هـ) ،وكتاب "واجب الادب" لوالدي موسى بن محمد بن سعيد (-٦٤٠هـ) واسمه يغني عن المراد به . وكتاب "اللالئ" لابي عبيد البكري (-٤٨٧هـ) على كتاب "الامالي" لابي علي البغدادي مفيد في الادب))[2] .

اما كتاب "نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب" لابي العباس احمد بن محمد المقري التلمساني (-١٠٤١هـ) فانه من اوسع كتب الادب واغناها مادة ،فهو موسوعة ادبية ،جمع فيه المقري كثيراً من مختارات الشعر والنثر في الاندلس ،وتراجم اعلام الادب . وقد قسم كتابه الى قسمين ،الاول : فيما يتعلق بالاندلس من اخبار واشعار ، وجعله في ثمانية ابواب .والثاني :فيما يتعلق بتعريف لسان الدين ابن الخطيب ،وجعله في ثمانية ابواب ايضاً .

جـ. المجال الثالث وهو الكتابة في تراجم الادباء ،فقد طبق علماء الادب التوثق من رجال الادب مثلما جرى التوثق من رجال الحديث الشريف ،فكانوا لايقبلون رواية او خبراً الا من عالم ثبت، وعنوا عناية بالغة بالاسناد على نحو ما عنى علماء الحديث بالاسناد ،وتعقبوا رجال السند بالجرح والتعديل . ومضوا ينقون الشعر القديم من الشوائب التي وضعها الرواة الوضاعون .

ووضع ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري (-٢٣١هـ) كتابه "طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين" وهو يمثل خلاصة ما وثقه علماء البصرة من نصوص الشعر القديم ،ويعلل في مقدمته تزيد الرواة في الشعر وتمكن العلماء من تمييز جيده ورديئه وزائفه قائلاً : ((فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر ايامها ومآثرها ،استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ،وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم واشعارهم فارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار ،فقالوا على السنة شعرائهم ثم كانت الرواة بعد ،فزادوا في الاشعار التي قيلت . وليس يشكل على اهل العلم زيادة الرواة ولا ماوضعوا ،ولاما وضع المولدون))[3] .

قسم ابن سلام كتابه على ثلاثة اقسام ،الاول : طبقات الشعراء الجاهليين . والثاني : طبقات متفرقة مثل طبقة اصحاب المراثي ،وشعراء القرى العربية ،وشعراء اليهود . والثالث :طبقات

---

(١) المقري :نفح الطيب ١١/٢/٣.

(٢) المصدر نفسه ١٨٤/٣ .

(٣) ابن سلام :طبقات فحول الشعراء (المقدمة) ٤٦/١.

الشعراء الاسلاميين .وقد جعل الشعراء الجاهليين والاسلاميين ايضاً في عشر طبقات ،وفي كل طبقة اربعة شعراء ،واقتصر على الفحول المشهورين منهم .

اعتمد ابن سلام في منهجه على القيمة الفنية في اختيار الشاعر في طبقته ،واعتمد في منهجه على الترتيب الزماني اذ قدم الجاهليين على الاسلاميين ،وكذلك اعتمد في منهجه على تخصيص طبقة لشعراء الغرض الواحد ،وهم اصحاب المراثي اذ افردهم بغرض لانهم لم يقولوا شعراً غير الرثـاء . واعتمد في منهجه ايضاً على الترتيب المكاني اذ افرد طبقة لشعراء القرى العربية وشعراء اليهود عن شعراء البوادي ، وشعراء القرى هم :شعراء المدينة ،ومكة ،والطائف ،والبحرين ،ولم ينـزلهم فـي سائر الطبقات لنشأتهم الحضرية ،واختلاف طبيعة شعرهم وروحه ولغته عن شعراء البادية ،مما يدل على تنبه ابن سلام لاثر البيئة المكانية او الاجتماعية او جنس من الاجناس في الشعر ،وهي نظـرة دقيقة فاحصة ،فكان منهجه في الطبقات الاساس الذي اعتمد عليه الدارسون في دراساتهم من بعد .

وكان للعامل الزمني اثر كبير في طبع الشاعر بطابع معين يتحدد بظروف عصره الـسياسية والثقافية والاجتماعية والدينية ،ويختلف عن شعراء العصور الاخرى ،وقد اتبع هذا الترتيب الزمنـي بعد ابن سلام منهجاً في تأليفه ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (-٢٧٦هـ) في كتابـه "الـشعر والشعراء" ،وقد ضمنه اخباراً ادبية عن حياة الشعراء ،ونماذج مختارة من شعرهم ،واراء العلماء في نقد هذه الاشعار

وهذه طريقة ابن سلام نفسها في طبقات الشعراء ،وقد قصد ابن قتيبة الـى ذكـر الـشعراء المشهورين من الجاهليين والاسلاميين والمحدثين على السواء ،ولم يلزم نفسه بعدد معلوم من الشعراء في طبقات حسب جودة الشعر او غير ذلك ،وانما راعى الترتيـب الزمنـي بـصورة عامـة ،فبـدأ بالجاهليين والمخضرمين ثم الاسلاميين والمحدثين .

ولا يختلف عبد الله بن المعتز بالله (-٢٩٦هـ) في تأليف كتابه "طبقات الشعراء" عن مـنهج الكتابين المتقدمين الا في اقتصاره على الشعراء المحدثين فحسب ،وقد اتبع خطة ابن قتيبة ،وراعـى في ترتيبه الشعراء الترتيب الزمني مراعاة عامة ،فبدأ بالاقدم من الشعراء ،ثم ختم بتراجم الـشواعر المحدثات .

وفي الاندلس بدأ التأليف بكتب الطبقات مبكراً ،أي في اواخر القرن الثالث للهجـرة ،وكـان مؤلفوها متأثرين بكتب الطبقات المتقدمة التي دخلت الاندلس ،فكان للكُتـاب والـشعراء الاندلـسيين طبقات لم تصل الينا ،وهي على النحو الاتي :

١.طبقات الكُتاب بالاندلس لمحمد بن موسى الاقشتين (-٣٠٧هـ) .

٢. طبقات الكُتاب بالاندلس لسكن بن سعيد (-٤٥٧هـ) .

٣.طبقات الشعراء بالاندلس لعثمان بن ربيعة (-٣١٠هـ) .

٤. طبقات الشعراء بالاندلس لعثمان بن سعيد الكناني (-٣٢٠هـ) .

٥. طبقات الشعراء بالاندلس لمحمد بن عبد الرؤوف الازدي (-٣٤٣هـ)[١] .

ومن المرجح ان هذه الطبقات في منهجها قد اتبعت طريقة ابن سلام ،فراعت ترتيب شعرائها الترتيب الزمني ،ولكنها لاتخلو من ذوق فني في اختيار طبقة الشاعر حسب جودة شعره ،او مراعاة منزلته ومدينته .

ومن المؤلفات الاندلسية التي انتهجت النهج الزمني في ترتيبها كتاب "زاد المسافر" لصفوان بن ادريس المرسي (-٥٩٨هـ) ،ويعد هذا الكتاب مكملاً لكتاب "قلائد العقيان" لابن خاقان (-٥٢٩هـ)[٢] . وقد قصر صفوان كتابه على ادباء عصره فحسب ــ اي القرن السادس للهجرة ــ ممن اتصل بهم وعاصرهم ،ولم يتخذ أي نمط في ترتيبهم ،فقال : ((فلم يتوخ بالتقديم فيهم ،ولا بالتأخير اشعاراً بمزية او تنقص تعصب ،بل ذكرتهم حسبما يُسر لي))[٣] فكانت تراجمه غير خاضعة لاي ترتيب .

وعارض محمد بن عبد الله بن الابار (-٦٥٨هـ) كتاب صفوان "زاد المسافر" في النهج والاسلوب وقصره على ادباء عصره ،وسماه "تحفة القادم" إذ ما احوج المسافر الى زاد في سفره ،وما اجدر القادم بتحفة يأتي بها من سفره .فقال : ((ولما عارضت به "زاد المسافر" سميته "تحفة القادم" وحميته اسجاع الناثر ، اكتفاء بقوافي الناظم ،ناسياً من ذكره في ترجمةٍ ابو بحر بن ادريس جامعه، واتياً من روائع البديع ما يهتز له مبصره وسامعه ...))[٤].

وقسم ابن الابار ايضاً تراجمه في كتابه "الحلة السيراء" على مئات "قرون" متتابعة زمنياً ،مثل المائة الاولى ، والمائة الثانية ،وهكذا حتى المائة السابعة أي عصر المؤلف ،ولم يلتزم بعدد محدد للتراجم في كل مائة ،فقد كان عدد رجال المائة الاولى ستة ،وعدد رجال المائة الثانية ثلاثة وثلاثون رجلاً وهكذا .

وقصر علي بن موسى بن سعيد (-٦٨٥هـ) تراجمه في كتابه "الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة" على شعراء عصره ،وهو جزء من كتاب ذكره بقوله : ((فهذا كتاب "الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة" وهو الثامن من الكتب التي اشتمل عليها (جامع طبقات الشعراء)الموسوم بـ "الحلة السيراء" ،وترتيب هذا الكتاب على ثلاثة اقسام : الاول :في تراجم الذين تحققت سنو وفاتهم .الثاني :في تراجم الذين لم يوقف منهم على ذلك .الثالث :فيمن استقر العلم على

---

(١) ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين ٣٠٥ ،٣١٣ ،٣٣٤، وابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس ٣٠/٢ ،٦٢ والضبي: بغية الملتمس ١١٦،٣٠٣، ٣٩٩، والقفطي: انباه الرواة ٢١٦/٣ وابن الابار: الحلة السيراء ١١٥/١ والسيوطي : بغية الوعاة ٢٥٢/١ .

(٢) ينظر : صفوان بن ادريس : شعر صفوان بن ادريس المرسي ١٧٢ .

(٣) صفوان بن ادريس : زاد المسافر ٤٣ .

(٤) ابن الابار : المقتضب من كتاب تحفة القادم (المقدمة ي) .

حياته عند انتهاء هذا التصنيف وذلك في سنة سبع وخمسين وستمائة))[1] وجعل كل قسم منها على قسمين ،احدهما للمشارقة والاخر للمغاربة .

وقصر لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب (-٧٧٦هـ) تراجمه في كتابه "الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة" على شعراء عصره ايضاً .

وقد تنبه بعض الادباء الى ان للعامل المكاني او البيئة اثر في الشعر والشعراء ،فهي تكسب الشعر ظاهرة معينة ،وتكسب الشعراء خاصية مشتركة في كل اقليم ،فتحدد اسلوب كل شاعر في لغته وصوره وطريقته في الاداء ،وكل كاتب في تأليفه وتصنيفه .

وقد اتبع الترتيب المكاني بعد ابن سلام وتميزه بين شعراء البادية وشعراء القرى منهج الشاعر دعبل الخزاعي في كتابه "طبقات الشعراء" ولكن ذلك الكتاب لم يصل الينا . وتبعه من علماء اللغة في الاندلس ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (-٢٧٩هـ) في كتابه "طبقات النحويين واللغويين" فرتبهم بحسب الاقاليم وهي :البصرة ،والكوفة ،ومصر ،وافريقية ،والاندلس ،وراعى في تراجمه الترتيب الزمني ايضاً .

ويعد كتاب "يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر" لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (-٤٢٩هـ) خير من يمثل الترتيب المكاني او الاقليمي في منهجه ،وقد قصره على شعراء عصره ــ أي القرن الرابع للهجرة ــ حيث بدأ بتأليفه سنة ٣٨٤هـ ثم عاد اليه في كهولته ليتم ما بدأه في شبابه[2]. وقد قسم الشعراء على اربعة اقسام بحسب اقاليمهم وهي على النحو الاتي :

القسم الاول : في محاسن اشعار ال حمدان وغيرهم من اهل الشام ومصر والموصل والمغرب .

والقسم الثاني : في محاسن اشعار اهل العراق .

والقسم الثالث : في محاسن اهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان .

والقسم الرابع : في محاسن اشعار اهل خراسان وما وراء النهر .

وفي الاندلس دخلت كتب الثعالبي اليها . قال ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي (٥٥٠هـ) : ((واخبرني ابو الحسن بن بسام (-٥٤٢هـ) . قال :اخبرني الوزير الفقيه ابو بكر بن العربي (-٥٤٣هـ) انه سقط اليه من تواليفه واحد وعشرون تأليفاً لم يسمها لي ابو الحسن المذكور ،ثم وجدت بعد موته تسميتها بخط يده . فمن ذلك :فقه اللغة ،ويتيمة الدهر ... وتتمة اليتيمة))[3] .

وقد تأثر ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (-٥٤٢هـ) بالثعالبي ومنهجه في "يتيمة الدهر" فالف كتابه "الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة" على غرار الكتاب المذكور ،ويعني بالجزيرة بلاد

---

(١) ابن سعيد :الغصون اليانعة (المقدمة) ص ١ .

(٢) اتم اليتيمة بجرجان عام ٤٠٣هـ . ينظر : الثعالبي : تتمة اليتيمة ١٤٤/١ ــ ١٤٥ .

(٣) الكلاعي : احكام صنعة الكلام ٢٣٢ – ٢٣٣ .

الاندلس ،وصرح بتأثره قائلاً : ((وانما ذكرت هؤلاء ائتساءً بأبي منصور في تأليفه المشهور المترجم بـ "يتيمة الدهر في محاسن العصر"))[١] ونقل فصولاً ممن ترجم لهم الثعالبي في يتيمته[٢] .

وقسم ابن بسام كتابه الى اربعة اقسام وهي :القسم الاول :وسط الاندلس .والقسم الثاني :غرب الاندلس .والقسم الثالث :شرق الاندلس .والقسم الرابع :الطارئون على الجزيرة والوافدون اليها من افريقية والشام والعراق . وهذا التقسيم الجغرافي تقسيم الثعالبي نفسه ،ولكن ابن بسام قصره على الاندلس بينما شمل الثعالبي الاقاليم العربية جميعها .

واذا كانت الخطة المنهجية بين الكتابين تجري في مجرى واحد ،وهو الاحاطة بالاديب ومزاجه وبيئته وشخصيته ،وعلاقة ذلك باسلوب الكاتب والشاعر وعلى اساس فهم العلاقة بين الشخصية والابداع الفني ،فان الاساس المنهجي يختلف لدى ابن بسام وهو انه يسعى الى استجلاء طبيعة شعرافقه ،وبيان موضوعاته ،وابراز خصائصه الفنية بالنسبة الى الشعر المشرقي حتى يعرف ان لاهل الاندلس نتاجاً ادبياً يرقى الى مستوى نتاج المشرق ان لم يتفوق عليه .

وسار ابو الصلت امية بن ابي الصلت الاشبيلي (-٥٢٩هـ)[٣] في تصنيف كتابه "الحديقة على اسلوب كتاب اليتيمة"[٤] ويعني بذلك ان منهجه في ترتيب كتابه "الحديقة" او حديقة الادب حسب الاقاليم الجغرافية ، فقد الفه لامير المهدية يحيى بن تميم الصنهاجي ،وقد جعله ((على منزع كتاب اليتيمة في فضلاء عصره))[٥] . فجمع فيه اخبارهم ومختارات من اشعارهم . وقد استفاد ابو الصلت من سجنه في خزانة البنود بمصر من عام (٥٠١ – ٥٠٥ هـ) ،فتوجه بعدها عام ٥٠٦هـ الى المهدية . مما يعني انه قد الفه بعد هذا التاريخ ،وانتشر الكتاب سريعاً في الاقاليم العربية ولكنه لم يصل الينا .

وقد فتح الثعالبي المجال لادباء اخرين في ان ينهجوا نهجه ،ومن هؤلاء الادباء ابو الحسن علي ابن موسى بن سعيد (-٦٨٥هـ) في كتابيه "المغرب في حلى المغرب" و "رايات المبرزين" ،وقد بين منهجه وهو الترتيب الجغرافي بقوله : ((متى ذكر بلد ذكرت كوره ،واتكلم عليه وعلى كل كورة منه ،وابتدئ بكرسي مملكتها وقاعدة ولايتها ... ومن تداول عليها من ابناء الملوك ،ثم نأخذ في الطبقات واحدة بعد الاخرى ،وهي طبقة الامراء ،وطبقة الرؤساء ،وطبقة العلماء ،وطبقة الشعراء ،وطبقة اللفيف))[٦] .يعني ان ابن سعيد مثله مثل ابن بسام في الذخيرة قد اتبع في ترتيب ادباء كل قسم

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ق ١ ١/٢٠ .

(٢) ينظر :المصدر نفسه ق ١ ١/٧٢ ، ٣٣٨ ، ق ٤ ٦٦٢ – ٦٦٦ .

(٣) وورد عام وفاته ٥٤٦هـ وهو خطأ ينظر : ابن سعيد : المغرب ١/٢٦١ .

(٤) ابن سعيد :المغرب ١/٢٦٢ .

(٥) المصدر نفسه ١/٢٦٢ .

(٦) المصدر نفسه ١/٩ .

الترتيب الاجتماعي ،وهو ان يبدأ بالطبقة العليا من الملوك والامراء ثم ينتهي بالطبقة الادنى من اللفيف الذين ليس لهم نظم في الشعر او النثر .

والمغرب في حلى المغرب الفه عدد من اسرة بني سعيد توارثوا تأليفه ،وكانت نواته وفادة عبد الله بن ابراهيم الحجازي _ في مدة المرابطين _ على عبد الملك بن سعيد ،فاقترح عليه ان يدون كتاباً في ادباء المغرب ،فكان كتابه "المسهب في فضائل المغرب" ،((وقد استودعه الحجازي صاحبه عبد الملك بن سعيد ومضى الى سبيل حاله ،فاخذ عبد الملك ومن بعده ابناؤه احمد _ وهو شاعرنا _ ومحمد ،ثم موسى بن محمد ،وابنه علي بن موسى ينظرون في ذلك الكتاب ... حتى اصبح "المسهب" على ايديهم كتاباً اخر يعرف باسم "المغرب في حلى المغرب"))[1] .

قسم ابن سعيد كتابه على ثلاثة اقسام وهي :القسم الاول :في حلى غرب الاندلس .والقسم الثاني :في حلى مواسطة الاندلس ،والقسم الثالث :في حلى شرق الاندلس .

اما "رايات المبرزين" فهو اختيارات من "المغرب" قام بها ابن سعيد ليقدمها الى جمال الدين موسى بن يغمور نائب الملك الصالح نجم الدين ايوب في مصر . فقال : ((وها انا قد عرضته في ميدان التبريز ،ومعيار الابريز ،ليكرم او يهان ،وسميته بـ "رايات المبرزين وغايات المميزين" المنتقاة من كتاب المغرب في شعراء المغرب ،وطرزته باسم من يتلقى راية المجد باليمين ... موسى بن يغمور))[2] .

وقسم كتابه الى قسمين ،كل قسم يتألف من اربعة اقسام وهو على النحو الاتي :القسم الاول: مختص بجزيرة الاندلس :ويتألف من :القسم الاول :مختص بالمغرب الاقصى من جزيرة الاندلس. والقسم الثاني: مختص بالمغرب الاوسط من جزيرة الاندلس .والقسم الثالث :مختص بشرق الاندلس. والقسم الرابع مختص بجزيرة يابسة .

والقسم الثاني :مختص ببر العدوة ويتألف من :القسم الاول :مختص بالمغرب الاقصى (المغرب). والقسم الثاني :مختص بالمغرب الاوسط (الجزائر). والقسم الثالث: مختص بافريقية (تونس). والقسم الرابع :مختص بجزيرة صقيلية .

ان هذا التقسيم هو نتاج تصور علمائنا بحيث نراهم منذ القرن الرابع للهجرة يعنون بدراسة بيئات الادباء الجغرافية والسياسية والثقافية وكان كتاب يتيمة الدهر ،ودمية القصر ،وخريدة العصر في المشرق ،والذخيرة ،والحديقة ،والمغرب ،والرايات في الاندلس خير ما يصور هذه الحقيقة ،فقد تنبه علماؤنا بقوة الى ان الاديب هو ثمرة طبيعية من ثمار بيئته الجغرافية والسياسية والثقافية ،وبذلك فقد سبقوا الغرب بعدة قرون .

---

(١) ابو جعفر بن سعيد الاندلسي :شعره ١٢١ – ١٢٢ .

(٢) ابن سعيد :رايات المبرزين (المقدمة) ٣١ – ٣٢ .

وفي بدايات القرن التاسع عشر دعا الناقد (سانت بيف ١٨٠٤-١٨٦٩م) الى دراسة تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم باوطانهم واممهم وعصورهم واسرهم وامزجتهم وثقافاتهم وخصائصهم الجسمية والنفسية والعقلية ،وعلاقاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ،وتبين نجاحاتهم واخفاقاتهم ،واذا تم كشف ذلك امكن لمؤرخ الادب ان يميز ما بين الاديب وادباء عصره وبيئته حتى يوضع في مكانه الصحيح من فصيلته الادبية ، وما الادباء في رأيه الا فصائل كفصائل الحيوان او النبات[١] .

وخلفه في هذا الاتجاه تلميذه (تين ١٨٢٨-١٨٩٣م) فاذا هو يحاول اسقاط الفردية الادبية اسقاطاً تاماً ،فليس هناك أي خصائص فردية يتميز بها الاديب ،وانما هناك خصائص جماعية بينه وبين ادباء امته ،بل هي قوانين حتمية تتحكم في ادباءكل امة ،وهذه القوانين عنده هي: الجنس: ويقصد به ان لكل امة منحدرة من جنس معين لها خصائص تختلف عن الامم .والبيئة او المكان : وهو الوسط الجغرافي الذي ينشأ فيه افراد الامة ،فيمارسون فيه لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ،والعصر او الزمان: ويقصد به الظروف السياسية والثقافية والدينية واثرها في الاديب[٢] .

ومن الممكن الافادة من قانون (تين) في دراسة ادبنا العربي ،ولكن يجب ان لايتخذ ذلك الصيغة الحتمية التي صاغها (تين) اذ لايوجد جنس خالص من كل شائبة .وفكرة نقاء جنس لا تكاد تتحقق ،اما قانون البيئة (المكان) ،وقانون العصر (الزمان) فلا ينكر مالهما من تأثير في الادب ،ولكن دون حتمية او جبرية ،مع مراعاة الخصائص الفردية لكل شاعر واديب ،وما ينفرد به من شعراء بيئته وعصره .فضلاً عن اثر عامل التراث ،ومدى سيطرته على نتاجهم الادبي .

وتتخذ طريقة البحث والتأليف في تراجم الادباء اتجاهاً اخر وهو الجانب الاجتماعي ،فوضع ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (-٣٥٦هـ) كتابه (الاغاني) وقصره على طبقات اجتماعية معينة في المجتمع ،وهي طبقة المغنين والملحنين مع شعراء الاغاني العربية ،وذكر منهجه بقوله : ((وجمع فيه ماحضره وامكنه جمعه من الاغاني العربية ،قديمها وحديثها .ونسب كل ما ذكره منها الى قائل شعره ،وصانع لحنه ،وطريقته من ايقاعه واصبعه التي ينسب اليها من طريقته ،واشتراك ان كان بين المغنيين فيه .على شرح لذلك ،وتلخيص ،وتفسير للمشكل من غريبه ...))[٣] .

طلب الخليفة هارون الرشيد من ابراهيم الموصلي ان يجمع له مائة صوت "اغنية" من الغناء المعروف في عصره ،ثم رفعت الى الواثق فطلب من اسحاق بن ابراهيم ان يختار له منها ما هو الافضل ،ففعل فصدر الكتاب بهذه الاغاني .

ولم يرتب ابو الفرج تراجمه الترتيب الزمني كما فعل ابن قتيبة ،او الترتيب المكاني كما فعل الثعالبي ،وانما ذكرهم حسب الاصوات "الاغاني" ،فيذكر الاغنية اولاً ثم يذكر اللحن ،ويترجم للمغني

---

(١) ينظر :د.شوقي ضيف :البحث الادبي ٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ٨٨-٩٢ .

(٣) الاصفهاني :الاغاني ١/١ .

الذي وضع اللحن وغناه ،ثم يترجم للشاعر الذي اخذت ابياته للغناء ،وشرح هـذه الابيـات وتفـسير غرائبها ،مع نماذج من شعره .

وفي الاندلس كان لعقيل بن نصر _ وهو شاعرقديم _ اغانٍ يجري فيها مجرى الموصلي[١].

وكان لاسلم بن احمد بن سعيد ((كتاب معروف في اغاني زرياب ،وكان زرياب عند الملوك بالاندلس كالموصلي وغيره من المشهورين برز في صناعته وتقدم فيها ،ونفق بها ،وله طرائق تنسب اليه))[٢] والف ابن الحداد (٤٨٠هـ) كتاباً في العروض ((مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والاراء الخليلية))[٣] والف اديب مرسية يحيى الخُدج _ ادرك المائة السابعة _ كتاب "الاغاني الاندلسية" على منزع كتاب "الاغاني" لابي الفرج الاصفهاني[٤] ولا نعلم ان كانت هذه الاغاني او المقطوعـات مرتبـة حـسب الاصوات ،وان للموشحات والازجال نصيب من هذا الكتاب .اما كتاب "الاغاني" للاصفهاني فان ابـا الربيع سليمان بن عبد الله (٦٠٤هـ) احد امراء الموحدين اختصره وهذبه وشرح شوارده بكتاب سماه "مختصر الاغاني"[٥] .

والف ابو نصر الفتح بن محمد القيسي ،المعروف بن خاقان (-٥٢٩هـ) كتابيه "قلائد العقيان في محاسن الاعيان" و "مطمح الانفس ومسرح التأنس" ورتب تراجم الادباء فيه على وفق منهج اساسه الترتيب الطبقي السياسي او الاجتماعي ،وقصره على اعيان عصره .ان ترتيب الادباء على حـسب المرتبة الاجتماعية ليس جيداً ،اذ وجدناه في الاقسام الفرعية للذخيرة والمغرب ،ولكن ابن خاقان جعل هذا الترتيب اساس منهج كتابيه .

ابتدأ ابن خاقان بتأليف كتابه "القلائد" منذ سنة ٥٠٦هـ وانتهى منه سنة ٥٢١هـ ،ووسـمه باسم الامير المرابطي ابي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي احيا الادب برسمه بعدما حـاق به من خمول وفتور .وقسمه الى اربعة اقسام وهي :القسم الاول :في محاسـن الرؤسـاء وابنـائهم .والقسم الثاني :في غرر حلية الوزراء وفقر الكُتاب والبلغاء .والقسم الثالث :في لمع اعيان القـضاة ولمح اعلام العلماء .والقسم الرابع :في بدائع الادباء وروائع فحول الشعراء.

ولم يجهد ابن خاقان نفسه في التنقيب والاستقصاء لجمع مادته مثل المؤلفين الاخرين ،وانمـا كان اغلب مصادره تحديث ومشافهة عن الوزراء، والفقهاء ،والكتاب ،فنراه يسوق السند متصلاً بمن حدثه واخبره ،مما يوضح ذلك طبيعة منهجه ،وهو اهتمامه بالشعر اكثر من النثر ،وقد اراد ان يجلب الاستحسان لبلاغته في التقديم لتراجمه ،إذ شغل بالزخرفة اللفظية والتوليدات البديعية اكثر من سواه .

---

(١) ينظر :الحميدي :جذوة المقتبس ٣٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٧٢ وينظر ١٤٦ .

(٣) ابن بسام :الذخيره ق ٢٠١/٢/١ .

(٤) ينظر :المقري :نفح الطيب ١٨٠/٣ .

(٥) ينظر :ابن سعيد :الغصون اليانعة ١٣١ ومنه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط رقم (١٥٤ق) .

اما كتابه "مطمح الانفس ومسرح التأنس" فقد صنفه استجابة لرغبة الوزير ابي العاص حكم ابن الوليد ،وقد جعله على ثلاثة اقسام وهي :القسم الاول :يشتمل على غرر الوزراء ودرر الكُتاب. والقسم الثاني :يشتمل على محاسن العلماء واعيان القضاة .والقسم الثالث :يشتمل على محاسن الادباء. ومنهجه لايختلف عن منهج "القلائد" .وقد سار على منهجه الاجتماعي ابو عمر وعثمان بن علي بن الامام (-٥٥٠هـ) فألف كتابة "سمط الجمان وسقيط المرجان" ،ويعد مكملاً للمطمح او ذيلاً عليه[1] ولكنه لم يصل الينا .

ان البحث في كتب التراجم التي تنحو منحى اجتماعياً كالاغاني ،والقلائد ،والمطمح ،والسمط انما تصور العلاقة الوثيقة بين الاديب ومجتمعه ،فالاديب هو ابن المجتمع ،وهو يشعر بكل ما يجري فيه من نظم ومبادئ وافكار وعادات وتقاليد وقيم خلقية ،وهل يوجد اديب يخاطب غير مجتمعه، لايمكن ذلك ،فالمجتمع اذن هو الملهم للاديب ، وهو المتلقي لنتاجه ، لذا كانت العلاقة بينهما وثيقة .

وقد ظهرت بعض النظريات الحديثة التي تدعو الى الاخذ بمقياس جديد للأدب ،الا وهو مقياس (الالتزام) .فالاديب لايطلب منه ان يعكس علاقاته بمجتمعه فحسب ،بل عليه ان يشارك في التغييرات التي تحدث في مجتمعه ،بحيث يصبح جزءاً منه .وهناك من ينادي بعكس ذلك .

لقد تنبه ادباؤنا القدامى الى قضية التزام الاديب بمجتمعه ،اذ عبر الشاعر عما يجري قبل الاسلام في مجتمعه من عبادات وطقوس دينية مثل عبادة الاصنام وتقديم القرابين لها ،وممارسة الكهانة والعرافة والسحر وغيرها .وكذلك صور الشاعر طبقة اجتماعية خرجت عن قيم مجتمعها وعاداته وتقاليده وهي طبقة الصعاليك .

واذا كان الاديب قد عبر في التزامه بالكتابة عن الطبقات العليا في المجتمع وتصوير الحياة التي تحياها مثل :الخلفاء والامراء والوزراء والقضاة والاعيان ،فان هذا الاديب قد عبر ايضاً في التزامه بالكتابة عن الطبقات الدنيا في المجتمع ،فلم يغفل الجاحظ في رسائله عن تصوير طبقات اجتماعية معينة مثل (البخلاء) ،وذوي العاهات مثل (البرصان والعرجان والعميان والحولان) وفي ذلك الف الصفدي كتابيه : "تكت الهميان في نكت العميان" و "الشعور بالعور" وقد تعدت هذه الكتابات الجانب الوصفي لتلك الطبقات الى الجانب النفسي .وكانت مقامات بديع الزمان الهمذاني ،ومقامات الحريري ،ومقامات الاندلسيين مثل ابن المعلم ،والسرقطي ،وابن ابي الخصال .قد صورت طبقة اجتماعية اخرى هي طبقة (المكدين) في المجتمع . وهذا يدل على ان الاديب في المجتمع العربي لم ينعزل عنه في برج عاجي ،وانما واكب جميع التغيرات التي حدثت فيه ،وبذلك سبق جميع مقاييس الغرب .

---

(١) ينظر :ابن عبد الملك المراكشي :المذيل والتكملة ق ٥ /١/١٨٨ .

وهناك اتجاه اخر اتخذ في منهج البحث والتأليف وهو الترتيب المعجمي لتراجم الادباء، فيرتب الادباء على وفق حروف المعجم (الهجاء) بصرف النظر عن ازمانهم واوطانهم واقدارهم، وكان اول معجم وضع للادباء في العربية هو "معجم الشعراء" لابي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (-٣٨٤هـ) ،وقد جمع فيه عدداً من الشعراء المشهورين من الجاهلية الى اواخر القرن الثالث للهجرة .

ومنهج المرزباني في ترتيب تراجمه لايختلف عن منهج علماء اللغة في احصاء الالفاظ ،فرتبها حسب حروف المعجم ،مع مراعاة الحرف الاول من الاسم ،ولم يبال بمراعاة الحرف الثاني واللقب والكنية .وكانت تراجمه تميل الى الايجاز في الاخبار والاشعار .

وفي الاندلس ظهر هذا الاتجاه واضحاً في تراجم الادباء ،والعلماء ،ورواة العلم في تلك البلاد. اذ الف محمد بن هشام بن سعيد الخير المرواني ،في ايام الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) كتاباً في "اخبار الشعراء بالاندلس"[١] ولعله رت تراجمه من الشعراء حسب حروف المعجم.

والف مطرف بن عيسى بن مطرف الغساني (-٣٥٧هـ) كتاباً "في شعراء البيرة"[٢] وقال ابن حزم : ((ومنها كتب جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس للمستنصر ،رأيت منها "اخبار شعراء البيرة" في نحو عشرة اجزاء))[٣] ولعله رتبه ايضاً على حروف المعجم .وهذان الكتابان لم يصلا الينا.

والف عبادة بن عبد الله بن ماء السماء (-٤١٦هـ) كتاباً في "اخبار شعراء الاندلس" وقال عنه ابن حزم : ((كتاب حسن))[٤] ولكنه لم يصل الينا ،وفي كتاب "المغرب" لابن سعيد نقولات عنه .

وقد رتب ابو الوليد عبد الله بن محمد بن الفرضي (-٤٠٣هـ) في كتابه "تاريخ علماء الاندلس" تراجمه على حروف المعجم .وتبعه على هذا المنهج ابو عبد الله بن محمد بن فتوح الحميدي (-٤٨٨هـ) في كتابه "جذوة المقتبس في تاريخ رجال الاندلس" متأثراً باستاذه الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" ،فقد روى عن استاذه اكثر مصنفاته ،وروى عنه استاذه ،وقد استوطن بغداد ،وبها الف كتابه "الجذوة"[٥].

يبدأ الحميدي كتابه بفصل ترجم فيه للولاة الذين حكموا الاندلس منذ الفتح ،حسب ترتيبهم الزمني ،ثم ينتقل في الفصول الاخرى الى سائر التراجم فيرتبها على حروف المعجم ،واثر ان يبدأها باسمي النبي محمد واحمد ﷺ ثم يعود الى الهمزة ،وهكذا سائر الحروف الاخرى .

---

(١) ينظر :الضبي :بغية الملتمس ١٢٩ .

(٢) ينظر :ابن الفرضي :تاريخ علماء ٢٣٧/٢ والسيوطي :بغية الوعاة ٢٨٩/٢ .

(٣) المقري :نفح الطيب ١٧٤/٣ .

(٤) المصدر نفسه ١٧٣/٣ .

(٥) ينظر :المصدر نفسه ١١٣/٢، ١١٤ .

وقصر اصبغ بن علي بن ابي العباس المالقي (-٥٩٢هـ) كتابه "اعلام مالقة" على تراجم هذه المدينة ،ولهذا الكتاب عنوان اخر هو "الاعلام بمحاسن الاعلام من اهل مالقة الكرام"[١] ومن هذا الكتاب نقولات كثيرة في عدة مصادر منها :برنامج شيوخ الرعيني ،والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ،والمطرب لابن دحية الكلبي ، وادباء مالقة لابن خميس ،والاحاطة لابن الخطيب .ويفهم من هذه النقول ان اصبغ بن ابي العباس لم يرتب تراجمه على حروف المعجم ،وانما رتبها حسب مكانة صاحب الترجمة في نظر اصبغ نفسه .

ويأتي كتاب "الاكمال والاتمام في صلة الاعلام بمحاسن الاعلام من اهل مالقة الكرام"[٢] لابي عبد الله بن محمد بن على الغساني المعروف بابن عسكر (-٦٣٦هـ) صلة لكتاب اصبغ المتقدم، وسمي الكتاب ايضاً "نزهة البصائر والابصار" ولكن هذا الكتاب لم يكمله مؤلفه .

اما ابو بكر محمد بن محمد بن خميس المالقي (توفي بعد ٦٣٩هـ) فقد افاد من كتاب خاله ابن عسكر فاكمله واختار له عنواناً وهو "مطلع الانوار ونزهة البصائر والابصار" .ووردت له عدة مسميات منها : "تتميم الاكمال" و "ادباء مالقة"[٣] وان يقتصر الكتاب في منهجه على اعلام مالقة والطارئين عليها .ويبدأابن خميس من حيث انتهى استاذه ابن عسكر في تراجمه على الترتيب المغربي للمعجم ،فقد انتهى استاذه الى اول حرف الميم ،فبدأ ابن خميس بحرف الميم وانتهى بحرف الياء ،وهذا يعني ان الحروف التي تسبق حرف الميم غير موجودة في كتابه ،لذلك يعد هذا الكتاب تتميماً او تكميلاً او صلة لكتاب خاله .

وسار ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (-٥٧٨هـ) في تأليفه كتاب "الصلة" على نهج الحميدي ،فاكمل على تراجمه وامدها حتى القرن السادس للهجرة .وجاء بعده احمد بن يحيى الضبي (-٥٩٩هـ) فأعاد تراجم الحميدي نفسها في كتابه "بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس" مع تغيير طفيف في بعضها .

وذكر ابن سعيد تذييل الكتب لبعضها بقوله : ((وابو القاسم خلف بن بشكوال ...وله كتاب "الصلة" في تاريخ العلماء ،وللحميدي قبله "جذوة المقتبس" وقد ذيل كتاب "الصلة" في عصرنا هذا ابو عبد الله بن الابار البلنسي))[٤]. ويعني بذلك كتابه "التكملة لكتاب الصلة" .وقد مد ابن الابار (-٥٨هـ) تراجمه الى القرن السابع للهجرة .وخالف من سبقه في ترتيب التراجم على النسق المشرقي ،فجعلها على النسق المغربي .

---

(١) ينظر :ابن الابار :التكملة ١١٥/١ وابن عبد الملك المراكشي :الذيل والتكملة ق ٢ ٤٤١/١ .

(٢) ينظر :ابن عبد الملك المراكشي :الذيل والتكملة ق٢ ٤٤١/١ - ٤٤٢ وابن الخطيب :الاحاطة ١٧٤/٢ .

(٣) ينظر ابن الزبير :صلة الصلة ٧٣/٣ ، ١٢١/٤ .

(٤) المقري :نفح الطيب ١٨١/٣ .

ووضع ابو عبد الله محمد بن محمدبن عبد الملك المراكشي (-٧٠٣هـ) كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" .وتبعه ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير (-٧٠٨هـ) بكتابه "صلة الصلة" .ولسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب (-٧٧٦هـ) بكتابه "عائد الصلة" .وهذه الكتب كلها قد ذيلت على تراجم الصلة ومدتها الى القرن الثامن للهجرة ،وجعلتها على النسق المغربي ايضاً.

ويبدو ان ظاهرة تذييل كتب التراجم وتكميل بعضها قد شاعت في القرون السادس والسابع والثامن للهجرة . وكان كتاب "الصلة" الاساس في سلسلة كتب التذييل والتكميل هذه .وقد انطلق مؤلفوها من فكرة جعل هذه السلسلة وما تتضمن من اخبار ونصوص ادبية موصولة ،غير منقطعة عبر العصور ،حرصاً على تقديم صورة متكاملة لتاريخ ادبنا العربي .

يتضح مما تقدم ان المنهج العلمي الذي وصل اليه العلماء والادباء العرب قد تكون مع جمع المادة وتدوينها ،ويقوم على التدقيق في صحة الرواية وضبطها ،وقد ادى تطور ذلك المنهج الى ان يتخذ البحث مجالات عدة ،كل مجال منه يأخذ اتجاهاً معيناً .وكانت لدى الادباء الاندلسيين دوافع ذاتية ،ودوافع دينية ووطنية للنهوض بالبحث والتأليف ،ومحاولة الوقوف على قدم المساواة امام الادباء في المشرق لقيام النهضة العلمية ،فتعددت بذلك مناهج البحث وتنوعت .

وقد ادى ذلك التنافس العلمي الى ان يسبق العلماء العرب علماء الغرب بقرون عدة من خلال مؤلفاتهم في الوصول الى المنهج العلمي الذي لم يعرفه الغرب الى اواخر القرن التاسع عشر ،ولم يكن ذلك المنهج الا تكراراً متعسفاً للمنهج العربي الرصين .

المصادر والمراجع

١.ابن الابار :المقتضب من كتاب تحفة القادم ،تحقيق ابراهيم الابياري ،المطبعة الاميرية القاهرة

٢.ابن الابار :التكملة لكتاب الصلة ،نشره السيد عزة العطار ،مطبعة السعادة القاهرة.

٣.ابن بسام :الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ،تحقيق د.احسان عباس ، ط دار الثقافة ،بيروت ١٩٧٩ .

٤.ابن بشكوال :الصلة :الدار المصرية للتأليف والترجمة ،القاهرة ١٩٦٦ .

٥.ابن خلكان :وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،تحقيق د.احسان عباس ،ط دار الثقافة بيروت ، ٦٨ – ١٩٧٠ .

٦.ابن خير الاشبيلي :فهرسة ما رواه عن شيوخه ،نشر دار الافاق ،بيروت ١٩٧٩ .

٧.ابن داود الاصفهاني :الزهرة ،تحقيق ابراهيم السامرائي و د.نوري القيسي ، ط مكتبة المنار ، الزرقاء ١٩٨٥ .

٨.ابن الزبير : صلة الصلة ،تحقيق ليفي بروفنسال ، ط الرباط ١٩٣٧ .

٩. ابن الصيرفي :المختار من شعر شعراء الاندلس ،تحقيق هلال ناجي ،مجلة المورد م ٤ – ع ٤ لسنة١٩٧٥ .

١٠. ابن الفرضي :تاريخ علماء الاندلس ،الدر المصرية للتأليف والترجمة ،القاهرة ١٩٦٦ .

١١. ابن النديم :الفهرست ،مطبعة الاستقامة ،مصر (د.ت) .

١٢. ابن سعيد :رايات المبرزين وغايات المميزين ،تحقيق د.نعمان عبد المتعال ،مطابع الاهرام ، القاهرة ١٩٧٣ .

١٣. ابن سعيد :الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ،تحقيق ابراهيم الابياري ، ط دار المعارف بمصر ١٩٤٥ .

١٤. ابن سعيد :المغرب في حلى المغرب ،تحقيق د.شوقي ضيف ،ط دار المعارف بمصر ٥٣ – ١٩٥٥ .

١٥. ابن سلام :طبقات فحول الشعراء ،شرح محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة ١٩٥٦ .

١٦. ابن طباطبا :عيار الشعر ،تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ،القاهرة ١٩٥٦ .

١٧. ابن عبد ربه :ديوان ابن عبد ربه ،جمع وتحقيق د.محمد رضوان الداية ،ط مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٧٩ .

١٨. ابن عبد ربه :العقد الفريد ،تحقيق احمد امين واخرين ،ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٥ .

١٩. ابن مسلمة :شعر ابي عامر بن مسلمة ،صنعة هدى شوكة بهنام ،مجلة المورد م ١٨–ع٢ لسنة ١٩٨٩ .

٢٠. ابن منظور :لسان العرب ،ط دار صادر ودار بيروت ١٩٥٦ .
٢١.ابن هذيل :شعر ابن هذيل القرطبي ،صنعه وحققه د.احمد حاجم الربيعي ،مجلة المورد م ٢٦ – ع ١ لسنة١٩٩٨ .
٢٢.ابو جعفر بن سعيد :شعر ابي جعفر بن سعيد صنعه د.احمد حاجم الربيعي ،مجلة المورد م ٢١ – ع ١ لسنة ١٩٩٣ .
ابو الوليد الحميري :البديع في وصف الربيع ،تحقيق هنري بيرس ،ط الرباط ١٩٤٠ .
ابو زيد القرشي :جمهرة اشعار العرب ،ط بولاق ،مصر ١٣٠٨هـ .
٢٥.احسان عباس :تاريخ الادب الاندلسي _ عصر سيادة قرطبة _ ط دار الثقافة ،بيروت ١٩٧٨
٢٦.د.احمد حاجم الربيعي :ابو الوليد الحميري ،حياته وشعره ،مجلة المورد م ١٧ ع ١ لسنة ١٩٨٨ .
٢٧.الاصفهاني :الاغاني ،تحقيق عبد السلام هارون ،ط دار الكتب ،القاهرة ١٩٦٣ .
٢٨.د.امجد الطرابلسي :نظرة تأريخية في حركة التأليف عند العرب ،ط دار الفتح دمشق ١٩٧٦.
٢٩.الثعالبي :تتمة اليتيمة ،نشره عباس اقبال ،طهران ١٣٥٣هـ .
٣٠.الجاحظ :الحيوان ،تحقيق عبد السلام هارون ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٤٨.
٣١.د.حكمة علي الاوسي :فصول في الادب الاندلسي ،ط مكتبة النهضة ،بغداد ١٩٧٤ .
٣٢.الحميدي :جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،القاهرة ١٩٦٦.
٣٣.الزبيدي :طبقات النحويين واللغويين ،تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ،القاهرة ١٩٥٤ .
٣٤.السيوطي :بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ،مطبعة عيسى البابي الحلبي ،القاهرة ١٩٦٤ .
٣٥.د.شوقي ضيف :البحث الادبي ،طبيعته ،مناهجه ،اصوله ،مصادره ،ط دار المعارف بمصر ١٩٨٦ .
٣٦.صفوان بن ادريس :زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر ،تحقيق عبد القادر محداد ، ط دار الرائد ،بيروت ١٩٧٠ .
صفوان بن ادريس :شعر صفوان بن ادريس المرسي نصنعه وحققه د.احمد حاجم الربيعي ،مجلة كلية التربية _ المستنصرية ،العدد (١-٢) لسنة ٢٠٠١ .
٣٨.الضبي :بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ،مطبع روخس ،مدريد ١٨٨٤م .
٣٩.د.عزة حسن :المكتبة العربية (جـ١) ،ط دمشق ١٩٧٠ .
٤٠.القفطي :انباه الرواة على انباه النحاة ،تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ،ط دار الكتب ،القاهرة ١٩٥٠ .

٤١.الكلاعي :احكام صنعة الكلام ،تحقيق محمد رضوان الداية ،ط دار الثقافة ،بيروت ١٩٦٦ .
٤٢.المبرد :الكامل ،تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ،مطبعة نهضة مصر (د.ت) .
٤٣.المرزوقي :شرح ديوان الحماسة ،نشره احمد امين وعبد السلام هارون ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ١٩٥١ .
٤٤.المقري :نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ،تحقيق د.احسان عباس ،ط دار صادر ،بيروت ١٩٦٨ .
٤٥.هلال ناجي :هوامش تراثية ،مطبعة العاني ،بغداد ١٩٧٣ .